كيف تستنزف الحرب على غزّة إسرائيل؟

انطوان شلحت

بعد مرور نحو تسعة أشهر على الحرب التي تشنّها إسرائيل على قطاع غزّة رداً على عملية طوفان الأقصى، أصبح أسهل أكثر فأكثر على متابع الشؤون الإسرائيلية أن يصادف تحليلات تتصف بنقدٍ لاذعٍ للمستويين السياسي والعسكري، وبتأطير واقعي لمآل الحرب بدقّةٍ لا تذعن إلا للوقائع. ويهم كاتب هذا المقال أن يشير في هذا المجال إلى أنه إلى جانب ذلك تقرّ أغلبية هذه التحليلات بما أعلنه الجيش الإسرائيلي نفسُه أخيراً، على لسان الناطق باسمه، في ما اعتبر بمثابة رسالة موجهة مباشرة إلى المستوى السياسي، أن التصريحات بشأن إخضاع حركة حماس باتت جوفاء.

وإذا شئنا أن نستأنس ببعض هذه التحليلات قد يكون ما كتبه الجنرال احتياط يسرائيل زيف، القائد السابق لـ«فرقة غزّة» وشعبة العمليات في هيئة أركان الجيش الإسرائيلي، أبلغ ما يعبّر عما نقصد، حيث كتب، في مقال في موقع قناة التلفزة الإسرائيلية 12 بتاريخ 2024/6/20، أن وضع إسرائيل العام يصبح أخطر بشكل متصاعد، فإنجازات الحرب (امتنع عن تفصيلها) تضيع شيئاً فشيئاً، والضغطُ على جنود تشكيلات الاحتياط بات غير محتمل، والاقتصاد في إسرائيل لحِق به ضررٌ كبيرٌ، والوضع الدبلوماسي خطِر جدّاً ويزداد خطورة، وإسرائيل تتحوّل إلى دولة معزولة ومنبوذة. وهناك أزمة ثقة آخذة بالتصاعد داخل المجتمع الإسرائيلي والروح المعنوية الداخلية متدنّية (ويمكن أن يُضاف أن هذا التدنّي هو ما تؤكّده أيضاً استطلاعات الرأي العام التي لا تحظى بنشر على نطاق واسع في وسائل الإعلام الإسرائيلية على خلفية قيامها بمجهود كبير في مجال رفع الروح المعنوية الداخلية). وإسرائيل تواجه صعوبةً في التعامل مع مشكلة النازحين من الجنوب والشمال، والأميركيون دخلوا في مرحلة متقدّمة من الانتخابات والانشغال بإسرائيل يمكن أن يشكل عبئاً عليهم، وخصوصاً في ظل عدم وجود نتائج واضحة للحرب.

ثمّة تحليلات تعدُنا بما هو أبعد من حدود ما قدّمه لنا زيف، لعلّ أبرزها وأهمها في الأيام القليلة الفائتة مجموعة تحليلات تفيد بأن الحرب التي تبدو متعدّدة الجبهات من الجنوب والشمال أمست تستنزف إسرائيل أكثر من أن تقرّبها من الحسم. في ظل هذا الوضع، يقول يفيل هنكين، وهو مؤرّخ عسكري مختص بالقتال في مناطق مأهولة والقتال غير المنظّم، من «معهد القدس للاستراتيجيا والأمن»، إنه في الحرب التقليدية يتم على سبيل المثال قتل 50 جندياً من جنود العدو كُل يوم، وتتوقع أن هذا سيحتاج وقتاً، لكن لن يبقى لديه جنود، في حين أن حرب الاستنزاف يكون المكوّن الرئيسي فيها نفسيّاً وتهدف إلى استنزاف الطرف القوي حتى كسر معنوياته وإفقاده الرغبة في القتال فعلاً. وفي كُل ما يخص طُرق عمل «حماس»، يقول هنكين إن من الممكن افتراض أن الحركة لا تتوقّع القضاء على إسرائيل مادّياً، إنما تكتفي بتدفيعها ثمناً. واستهجن تصريحات إسرائيليين فحواها أن مقاتلي «حماس» جبناء، مؤكّداً أن طريقتهم في الهروب من المواجهة المباشرة إلى نصب الفخاخ هي طريقة عمل حرب الأنصار، واتهامهم بالجبن غير ذي صلةٍ على الإطلاق. ووفقاً لصحيفة غلوبس الاقتصادية، لحرب الاستنزاف قواعدها على المستوى الاقتصادي، ففي حرب تقليدية أو حملة عسكرية كما شهدنا في غزّة خلال الأعوام السابقة، هناك نقطة بداية ونقطة نهاية واضحة، وهنا الأمور تختلف. وهو الشيء نفسه بالنسبة إلى الأسواق، وأيضاً المؤسّسات الاقتصادية للدولة التي تواجه صعوبة في بناء التوقّعات والنماذج التي تقدّر حجم الضرر العام. ويمكن القول إن التقديرات الاقتصادية ارتفعت بصورة مستمرّة مرة تلو الأخرى.

وفي ما يخص الاستنزاف الاقتصادي، تشير الصحيفة إلى مؤشرين: العجز المتراكم حتّى الشهر الماضي (مايو/ أيار)، وصل إلى 137,7 مليار شيكل، وبلغ 7,2% من الناتج في وقتٍ كان الهدف الذي حدّده القانون لنهاية 2024 هو عجز بنسبة 6,6%. ومنذ بداية العام الحالي، تم تسجيل عجز متراكم بنحو 47,6 مليار شيكل، مقارنة بفائض 13 مليار شيكل في الفترة نفسها من العام الماضي.

عندما يناصر القوم ذئباً على آخر!

عبد اللطيف السعدون

ثمّة أشياء تكشف المدى الذي وصل إليه الانحدار في الوضع السياسي في العراق، وثمّة مفارقاتٌ بالغة التعبير، كما هي بالغة الخطورة، قد لا نجد وصفاً لها أبلغ من الوصف الذي وضعه الشاعر الراحل مظفّر النوّاب في سؤاله: «ما لبعض القوم يُناصر ذئباً على آخر؟!»

أول الأشياء، وليس أخيرها، أحاديث أوساط بغداد عطفاً على تعيين تريسي أن جاكوبسون سفيرة أميركا الجديدة في العراق، التي أعطيت صفة سفير فوق العادة، بمعنى أنها «سفيرة مهامّ خاصة بصلاحيات استثنائية». بإمكاننا إبرام اتفاقات وعقد معاهدات وتقرير خطط العراق والمنطقة». وأجاز بعض هؤلاء لأنفسهم أن يبشّروا العراقيين بأن التغيير قادم، وبأن رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وليس عليهم سوى أن ينصبوا خيامهم على شاطئ دجلة، وستأتي المياه بجثث خصومهم.

وفي المفارقة نفسها، تجاهلت حكومة السوداني، ومن ورائها «الإطار التنسيقي» الحاكم، ما أطلقته جاكوبسون، وما رسمته من خطط.

على أن هذه المفارقة لن تدوم أكثر مما هو مقدّر لها. وعندما تصل تريسي أن جاكوبسون إلى بغداد ستمدّ أمامها السجادة الحمراء، وستدخل المكاتب والبيوت من دون استئذان، وسوف يستسلم أمامها رافعو رايات المقاومة والجهاد. تماماً كما كان يجري الحال مع أفصحت من خلالها عن نظرتها إلى إيران كونها «عاملاً خبيثاً في العراق، ومزعزعاً للاستقرار في المنطقة»، وخطّتها للعمل على التصدّي لنفوذها في العراق.

وتقويض البنية التحتية للمليشيات المتحالفة معها، وحتى القضاء على الأفراد الذين خطّطوا لهجمات على مصالح الولايات المتحدة. وقالت إنها لن تسمح لإيران بالتأثير السلبي على اقتصاد العراق عن طريق استخدام الغاز المؤرّد إليه سلاحاً ضدّه.

المفارقة أن خطبة جاكوبسون هذه أحدثت تجاذبا بين فريقي اللعبة السياسية الماثلة. رأى الفريق الموالي لإيران فيها تكريسا للوجود الأميركي، والإصرار على البقاء. وهدّدت المليشيات بالتصدّي لهذا التوجه، «لن تكون صفعاتنا القادمة إلا على الأنوف، وسيرى الأميركيون لمن القول الفصل». ولم توفر المليشيات رئيس الحكومة محمد شياع السوداني من هجومها، إذ اتهمته بالتخبّط والإنجرار وراء المطامع والانتهاكات الأميركية، والتغافل عن حماية سيادة العراق واستقلاله. كما دعت إلى عدم قبول السفيرة الأميركية الجديدة، واعتبارها «شخصية غير مرغوب فيها». وعبّر الفريق الآخر المناهض للهيمنة الإيرانية عن ارتياحه للتوجّهات التي أفصحت عنها جاكوبسون، واعتبرها «تحوّلا مثيراً في سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق والمنطقة». وأجاز بعض هؤلاء لأنفسهم أن يبشّروا العراقيين بأن التغيير قادم، وبأن رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وليس عليهم سوى أن ينصبوا خيامهم على شاطئ دجلة، وستأتي المياه بجثث خصومهم.

وفي المفارقة نفسها، تجاهلت حكومة السوداني، ومن ورائها «الإطار التنسيقي» الحاكم، ما أطلقته جاكوبسون، وما رسمته من خطط.

على أن هذه المفارقة لن تدوم أكثر مما هو مقدّر لها. وعندما تصل تريسي أن جاكوبسون إلى بغداد ستمدّ أمامها السجادة الحمراء، وستدخل المكاتب والبيوت من دون استئذان، وسوف يستسلم أمامها رافعو رايات المقاومة والجهاد. تماماً كما كان يجري الحال مع سابقتها وإن بوتيرة أخرى. أما الآخرون فسوف يركنون إلى حال الطمأنينة والذعة، فليس أكثر أماناً لهم من وجود راعٍ أميركيّ ذي أسنان!

يبقى المواطنون العاديون المحكومون بأقدار ومتغيّرات لا بد لهم في صنعها، ولا حول لهم في مواجهتها، سيبقون في انتظار «المهدي» الذي دخل في وجدانهم، وسوف يقيم لهم دولة العدل والأمان. وإلى أن يحدُث ذلك، ليس أمامهم سوى المشاركة في مواكب اللطم ومسيرات التأسي والحزن، وسوى ممارسة جلد الذات، واعتناق الصبر إلى أن يقضي الله أمراً.

(كاتب عراقي في كاراكاس)

فلسفة التعديل الوزاري المصري وأحادية السلطة

شريف هلالي

يكثر الحديث منذ أسابيع في مصر عن قرب الإعلان عن التشكيل الوزاري الجديد بعد استقالة حكومة مصطفى مدبولي ثم إعادة تكليفه، والرجل أكثر رؤساء الحكومات منذ ثورة 25 يناير، بقاء في منصبه، بعد تكليفه بتشكيل أول وزارة عام 2018، وهو سابع رئيس للحكومة منذ الثورة. والمثير أن كل من تولوا هذا المقعد منذ 2011 ينتمون إلى مهنة الهندسة بفروعها المختلفة، فيما كان سابقوهم يأتون من خلفية اقتصادية أو قانونية في أغلب الأحوال.

والأغرب هو إجراء التعديل وفق الفلسفة نفسها التي يسير عليها النظام برئاسة عبد الفتاح السيسي، فلا أحد يعرف لماذا كلّف مدبولي، رغم التقييم السلبي لأداء حكوماته، على المستويين، الشعبي والسياسي، وما أسباب خروج هذا الوزير أو ذاك أو اختياره بالتحديد، وما هي المعايير الموضوعية تقييم أداء الوزراء. وتثير هذه الطريقة عدة إشكالات، منها مدى المشاركة الحقيقية للوزارة في وضع السياسات بالتعاون مع رئيس الجمهورية، وطريقة اختيار الوزراء أنفسهم الذين يأتون غالبا من خلفيات تكنوقراطية. ونادرا ما حدث اختيار وزراء من خلفيات سياسية، باستثناءات محدودة في ظروف بعينها، وهو ما حدث عقب ثورة 25 يناير، وبعد إطاحة حكم جماعة الإخوان المسلمين في 2013، بضم بعض رموز جبهة الإنقاذ، مثل محمد البرادعي نائبا للرئيس، وزياد بهاء الدين نائبا لرئيس الوزراء، وانتهت تلك التجربة سريعا في 2015، فلم يُضمّ، بعدها، أي وزراء من خلفيات سياسية معارضة.

وقد نصّ دستور 2014 على طريقة معيّنة لاختيار رئيس الوزراء ومن ثم التشكيل الوزاري، وفق المادتين، 146 و147. وربط تشكيل الحكومة بحصولها على ثقة أغلبية أعضاء مجلس النواب. وفي حالة عدم الحصول على هذه النسبة، يكلف رئيس الجمهورية رئيساً للوزراء بترشيح من الحزب أو «الائتلاف» الحائز أكثرية المقاعد مجلس النواب. وفي حالة فشل هذا الخيار، اعتبر البرلمان منحلاً بحكم القانون، وتجري الدعوة لانتخاب مجلس نواب جديد. والمفترض تكليف الحزب الذي يحظى بأغلبية مقاعد مجلس النواب في هذه الحالة، وهو «مستقبل وطن» الذي يحظى برعاية أجهزة الدولة، والذي يشبه وضع الحزب الوطني قبيل ثورة 25 يناير. وأعطى الدستور لرئيس الجمهورية حقّ إعفاء الحكومة من أداء عملها وإجراء تعديل وزاري بشرط موافقة أغلبية أعضاء مجلس النواب. ويعطي هذا النصّ الصلاحية لأغلبية البرلمان في التصويت على الشخص المكلف بالمنصب أو تكليف الحزب أو الائتلاف الحائز على أكثرية المقاعد بالقيام بهذا التشكيل. ولكن هذه الإجراءات تجري مراعاتها على المستوى الشكلي بسبب الطريقة التي جرى بها انتخاب المجلس منذ عام 2014، والذي جاء على أعين الحكومة وأجهزتها الأمنية والإدارية.

وفي الغالب، يكون الدور الأكبر لهذه الأجهزة في ترشيح الوزراء واختيارهم، والمتوقّع حصولهم على الموافقة الأتوماتيكية لما يسمّى تحالف دعم مصر الفائز بأغلبية مقاعد المجلس، لتصبح الموافقة على هذه القرارات مجرّد إجراء شكلي يتم تلقائياً.

وعلى الرغم من انتقاد كثيرين، حتى من الإعلاميين المقرّبين من النظام لتلك الوزارة والدعوة إلى إقالتها، بسبب سوء الأداء الاقتصادي والخدمي في ملفات التموين والنقل والكهرباء، والصحة والتعليم، إلا أن هذه الحملات تثير علامات استفهام كثيرة بشأن إمكانية حدوث تغيير في التوجهين، الاقتصادي والسياسي، بمجرّد إجراء تعديل وزاري مهما بلغ حجمه، طالما استمرّت السياسات نفسها. ويعرف كثيرون أن محدودية دور الوزارة فعليا في وضع السياسات وتنفيذها، وهي لا تمثل سوى مجرّد سكرتارية للرئيس. وأزمة اختيار الوزراء في مصر أنهم يُختارون ممن ليس لديهم خبرة سياسية أو حزبية، وغالبا ما يفضّل رئيس الجمهورية تعيين شخصيات من المتعجرفين بخلفية فنية وإدارية في تخصصاتهم، أو من المنتمين إلى ضباط الشرطة والجيش. وغالبية الوزراء لن تجد لهم خبرة سياسية من أي نوع، سواء في أثناء دراستهم الجامعية، أو بعدها، وغالبا لا تكون لهم اهتمامات حزبية، إلا حين انضمامهم للحزب الذي يحظى بدعم الدولة ورضاها، فالعضوية الحزبية هنا تمثل الباب الملكي لنيل المكاسب، مثلما كانت عضوية لجنة السياسات زمن حسني مبارك.

> ما يحدُث في أروقة التشكيل الوزاري منذ تكليف مدبولي يمثل تجاهلاً لحق الأحزاب والرأي العام في النقاش السياسي

ونادراً ما تحدّث اختلافاتٌ في وجهات النظر بين الوزراء ومؤسسة الرئاسة، أو يقدّم أحد الوزراء استقالته اعتراضا على توجّهات الرئاسة أو الوزارة، أو اعترافا بفشل، مثل ما رأينا في أواخر السبعينيات في استقالة وزيري الخارجية، إسماعيل فهمي احتجاجا على زيارة الرئيس أنور السادات القدس المحتلة ومحمد إبراهيم كامل احتجاجا على معاهدة كامب ديفيد. ومنذ عام 2014 لم يستقل أي وزير بإرادته الشخصية، ولا يخرج إلا في التعديل الدوري، أو يُجبر على الاستقالة، أو يحال إلى القضاء في اتهامات تتعلق بالفساد.

ويمثل إصرار الرئاسة على اختيار مصطفى مدبولي مرّة أخرى علامات استفهام كثيرة، بالرغم من حجم الانتقادات الشعبية لأداء وزاراته، والغضب الاقتصادية وارتفاع نسب التضخم. ويجب ألا نتجاهل الواقع السياسي الذي تعدّ فيه مؤسّسة الرئاسة الصانعة الوحيدة للقرار على كل من المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، في مقابل تهميش دور أحزاب المعارضة المدنية، واكتفاء النظام بإجراء حوار شكلي خال من المضمون. وفي الوقت نفسه، تتبنّى تلك السياسات التي تسير عليها وزارات ما بعد 2014 مفهوماً مناهضا للعدالة الاجتماعية، وتتخلى عن القاعدة التي حكمت أنظمة ما بعد ثورة 23 يوليو (1952)، بتوفير الحماية لأغلبية الفقراء والعمّال والفلاحين، لصالح سياسات أخرى تقوم على مفهوم الاقتراض وتعويم العملة وبيع الأصول وزيادة الأعباء على المواطنين. وما يحدُث في أروقة التشكيل الوزاري منذ تكليف مدبولي يمثل تجاهلاً لحقّ الأحزاب والرأي العام في النقاش السياسي وخلفيات هذا التشكيل وأسماء الوزراء المرشّحين، وتقييم كفاءتهم ومدى صلاحيتهم لهذه الأدوار، ليفاجأ الجميع بهؤلاء الوزراء في أثناء عرض أسمائهم على البرلمان لمنح الثقة.

في النهاية، يؤدّي الإبقاء على طريقة التشكيل الوزاري، وتغييب دور المؤسّسات الوسيطة في اختيار ومحاسبة الوزراء، واستمرار القيود على وسائل الإعلام والمجتمع المدني، وتخلّي جلس النواب عن أدواته الرئيسية في الاستجواب وسحب الثقة من الوزارة في النهاية إلى تجميد أي تغيير حقيقي، وبالتالي، سيظلّ الأداء والتوجّهات السياسية والتوازنات القائمة، وانفراد مؤسّسة الرئاسة بصنع القرار في غياب كامل للرأي العام.

(كاتب مصري)

كاريكاتير عماد حجاج

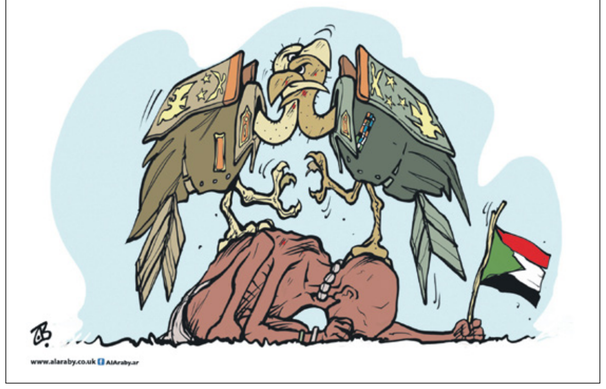

حماس لن تنهزم وإسرائيل لن تنتصر

علي انوزلا

يضيف «حماس ضُربت عسكرياً، لكنها انتصرت في كل الأبعاد الأخرى: إسرائيل تعرّضت للضربة قاصمة اجتماعياً وسياسياً وأخلاقياً واقتصادياً».

وقبل المقالين، اعترف الناطق الرسمي باسم جيش الكيان الصهيوني، دانيال هاغاري، باستحالة تدمير حركة حماس، قائلاً: «لقول إننا سندمر حماس ونجعلها تختفي مجرّد ذرّ للرماد في عيون الإسرائيليين»، قبل أن يضيف إنّ «حماس فكرة، ومن يظن أننا نستطيع أن نجعلها تختفي مخطئ». الكاتبان الأميركي والإسرائيلي، كما الناطق الرسمي باسم الجيش الصهيوني، يتفقون على أن الحل العسكري في غزّة فشل، وأن إسرائيل خسرت الكثير من سمعتها وهيبتها ومن تعاطف الرأي العام الغربي معها غداة أحداث 7 أكتوبر، وأصبحت منبوذةً أكثر من أي فترة في تاريخها. وعلى المستوى الداخلي باتت مهدّدة بالانقسام والضعف الذي سوف يعجل بزوالها. وفي المقابل كسبت حماس والقضية الفلسطينية تعاطف وإعجاب الرأي العام بصمود الشعب الفلسطيني ومقاومته التي أثبتت أن قوة الإرادة أقوى من كل الأسلحة مهما كانت متطورة وفتاكة. ومع ذلك، وبعد تسعة أشهر من الصمود الأسطوري للمقاومة أمام جيش مُسلح بأحدث الأسلحة، مستمرّة، فالمقاومة الفلسطينية، وفي مقدّمتها «حماس»، انتصرت بفعل قوة سلاح الإرادة والتصميم على المقاومة حتى آخر رمق، والصمود في المفاوضات وفرض شروطها على تصميم وشجاعة، وسوف يأتي اليوم الذي تدرّس فيه أساليب المقاومة الفلسطينية في غزة طيلة الشهور الماضية، في الأكاديميات العسكرية، تماما كما تُدرّس اليوم، في الأكاديميات نفسها، فنون حرب العصابات التي ابتدعها «الفيتكونغ» في حرب فيتنام في مواجهة الولايات المتحدة في سبعينيات القرن الماضي.

(كاتب وإعلامي مغربي)

> انتصار المقاومة الفلسطينية اليوم ليس مجرّد أمنية عاطفية، وإنما واقع تكشف عنه معطيات الميدان

ياسمينة خضرا وإشكالية الهوية الجامعة في الجزائر

محمد سي بشير

انتشر، أخيراً، على الفضاء الافتراضي، محتوى لمداخلة إعلامية حلّ فيها الرّوائي الجزائري، ياسمينة خضرا، ضيفاً. وكان من بين ما سُئل عن تعامله مع قرّائه لحظة البيع بالإهداء، ومن بين ما أجاب عنه، في كلمات خارجة عن إطار الحديث، قوله إنّه لا يوقّع على إهداء إذا كان صاحبه (صاحبته) ممّن يعرّف نفسه بأنّه قبائلي (أمازيغي)، معلّلاً ذلك بأنه تعبير عن إرادة لتقسيم الولاءات الانتمائية للبلاد (الجزائر). بالرغم من أنّ هذا التّصريح، وفق بعض المصادر، من العام الماضي، إلّا أنه لم يظهر إلّا قبل أيام، وأوقع لغطاً كبيراً، وخصوصاً على وسائل التواصل الاجتماعي، إذ كان كثيرون من سكّان هذه المنطقة الانتقاد للرّوائي على كلامه غير الدّقيق، حيث إنّه، بحكم موقعه الثّقافي، لا يجب أن يجهل أدبيات التّنشئة وألف باء الهوية ببعديها، الجامع والمناطقي، في بلد شاسع، مثل الجزائر، يُجمع فيه أبناؤه على عشق بلدهم. لكن كلّ من منطلق جمعه بين البعدين، كما سياتي، ردّاً على مقولة ياسمينة خضرا، من ناحية، ومنعاً من توسُّع النقاش إلى ما هو أبعد من الهوية، بالبعدين المذكورين، من ناحية أخرى.

للهوية بعدان، جامع ومناطقي، وهما متكاملان يعيش بهما الإنسان، وهما مطمئنٌ إلى صحّة ولائه لبلده وحبّه كل ما تربّى عليه في أكناف عائلته الصّغيرة، ويحمل ذلك عنوان التنشئة الاجتماعية والسّياسية، حيث تكبر مع المرء، منذ صباه، وتغذّيه منابع عديدة صانعة المواطن، النّاخب، المحارب والمحبّ لوطنه ولمنطقته، قريته وعائلته، من دون صدام يُذكر أو نقاش يعطر صفو التّعاضد الاجتماعي والتّماسك المجتمعي، مما يكون ياسمينة خضرا لا يعرفه، حتّى تاتي كلماته تلك غير موفقة كل ذلك الانتقاد في الجزائر. يعتبر الجامع، في هذه الدّرجة التي لا يفرّق فيها بين الهوية الجامعة والهويّة الفرعيّة أو المناطقية، بحكم أنّه من النّخبة المثقفة، وباللعب على وتر التّوفيق المجتمعي، بتصريحه الذي تصدّر هذه المقالة، والذي يدلّ سياقه على الخلط في سياقات الهويّة، في الجزائر، وهو ما لا يمكن أن يصدر عن روائي من المفترض أن يكون كلامه منفتحاً لاستيعاب الاختلافات والتّنوعات الاجتماعية، الثّقافية والأنثروبولوجية الجزائرية، ليكون ذلك دليلاً إضافياً على قصور في الرّؤية وفي فهم المجتمع الجزائري، أو، إذا وسّعنا النّظر إلى المسألة بصفة واقعية، محاولة غير موفقة للحديث عن مسألة الوحدة الوطنية، لأنّ كلامه، بعد كلماته المذكورة، تضمّن الإشارة إلى ضرورة التعريف بالهوية الجامعة، وليس بالهوية الفرعية، وهي مسألة معروفة، في الجزائر، موسيقى وطبوع محلية يفخر بها الكلّ، ولكن في إطار التّنوّع لبلدٍ مساحته قرابة 2,4 مليون كلم مربّع بصحرائها، تلّها وساحلها، ومن سكّان عاشوا تجارب مختلفة وتربّوا على تنشئات متنوّعة، لكن في تناغم تامّ وتكامل منسّق بين المكوّنين الجامع والفرعي، المناطقي للهويّة، مما لم يفهمه ياسمينة خضرا.

ومن يُمّن يسهل عليه الهوان... ذلك حال ياسمينة خضرا الذي استسهل، باحثاً عن الصّعود الأدبي، على غرار أمثاله كمال داوود، بوعلام صنصال أو الطّاهر بن جلّون، حيث ذهب، بعيداً، في عمليّة البحث ذلك، مُبرزاً ذلك الولاء لتيّار أدبي ناكر للتّاريخ وغير مهتمّ بمكوّنات الهويّة، فلنا منه أنّ النّاس لا تقرأ أو تنسى التّصريحات، الكتابات والمواقف. ولعلّنا نذكر له، كلّما تلاعبه برموز ثابتة في تاريخ البلاد، ليمتدح العصر الكولونيالي الفرنسي في روايته «فضل النهار على اللّيل» برمزيّة اللّيل الاستعماري (عنوان كتاب للمجاهد فرحات عبّاس، رئيس الحكومة الجزائرية المؤقّتة في أثناء الحرب التّحريرية الجزائرية الكبرى)، ومقابلته بالنّهار الذي يمثّله استقلال الجزائر، محاولاً، زعم محاكاة قانون تمجيد الاستعمار الذي كان قد اقترحه الرّئيس الفرنسي الرّاحل جاك شيراك على البرلمان الفرنسي، ورُفض بعد تنديد الجزائر والمثقّفين الشّرفاء في فرنسا نفسها، ليكون ياسمينة خضرا هو من يجعل ذلك التّمجيد قريباً لطبقة سياسية ومثقّفة فرنسية تشعر بالحنين للاستعمار الاستيطاني الفرنسي، لعلّها تمنحه جائزة ما منعتها عن أقرانه من الأدباء الجزائريين الذين كتبوا، مثله، باللّغة الفرنسية، ولكنّهم كانوا في مستوى تاريخ بلادهم وهويتها، وليس ضدّها كما فعل خضرا بروايته تلك.

لم يتوقّف ياسمينة خضرا عند هذا الحدّ، بل كانت رواياته، كلّها، برمزيات متناقضة مع سياقات هويّة الأمّة في رؤيته إلى الإرهاب والحرية، وإلى ظواهر وجوديّة أخرى، مضمّنا أعماله الأدبية ذلك التّوجّه المصرّ على مسار محابثة الآخر الكاره هويّة الجزائر من منطلق المطالبة والإصرار على المطالبة بثلاثية الاعتراف، الاعتذار ثمّ التّعويض، من المستوطن الفرنسي عن جرائمه المقترفة قرنا ونيف من استيطانه. وكان لياسمينة خضرا وأمثاله ممّن ذكرناهم، من الجزائريين، مواقف تساند فرنسا، لكننا لم نعتقد، يوماً، أنّ سياقات الهويّة مختلطة عنده إلى هذه الدّرجة التي لا يفرّق فيها بين الهويّة الجامعة والهويّة الفرعيّة أو المناطقية، بالرغم من حجم الانتقادات الشعبية لأداء وزاراته، والغضب الاقتصادية وارتفاع نسب التضخم. ويجب الا نتجاهل الواقع السياسي الذي تعدّ فيه مؤسّسة الرئاسة الصانعة الوحيدة للقرار على كل من المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، في مقابل تهميش دور أحزاب المعارضة المدنية، واكتفاء النظام بإجراء حوار شكلي خال من المضمون. وفي الوقت نفسه، تتبنّى تلك السياسات التي تسير عليها وزارات ما بعد 2014 مفهوماً مناهضا للعدالة الاجتماعية، وتتخلى عن القاعدة التي حكمت أنظمة ما بعد ثورة 23 يوليو (1952)، بتوفير الحماية لأغلبية الفقراء والعمّال والفلاحين، لصالح سياسات أخرى تقوم على مفهوم الاقتراض وتعويم العملة وبيع الأصول وزيادة الأعباء على المواطنين. وما يحدُث في أروقة التشكيل الوزاري منذ تكليف مدبولي يمثل تجاهلاً لحقّ الأحزاب والرأي العام في النقاش السياسي وخلفيات هذا التشكيل وأسماء الوزراء المرشّحين، وتقييم كفاءتهم ومدى صلاحيتهم لهذه الأدوار، ليفاجأ الجميع بهؤلاء الوزراء في أثناء عرض أسمائهم على البرلمان لمنح الثقة.

في النهاية، يؤدّي الإبقاء على طريقة التشكيل الوزاري، وتغييب دور المؤسّسات الوسيطة في اختيار ومحاسبة الوزراء، واستمرار القيود على وسائل الإعلام والمجتمع المدني، وتخلّي جلس النواب عن أدواته الرئيسية في الاستجواب وسحب الثقة من الوزارة في النهاية إلى تجميد أي تغيير حقيقي، وبالتالي، سيظلّ الأداء والتوجّهات السياسية والتوازنات القائمة، وانفراد مؤسّسة الرئاسة بصنع القرار في غياب كامل للرأي العام.

(كاتب مصري)

> على الجميع، في الجزائر، نبذ ذلك التفريق، عن جهل، بين الهويتين، الجامعة والفرعية المناطقية، فالمخيلة والسلوك يضعان كلاً منهما في المكان اللائق به. وكان الأجدر بياسمينة خضرا إنتاج روايات وأعمال أدبية يعتذر بها عن تلاعبه بالرّموز الهوياتية الوطنية، وليس الاستمرار في اجترار سياقات تفكير إرضائية لن ينتظر منهم أن يمنحوه جائزةً ما. وليعلم أنّ أسيا جبّار، مولود معمري أو محمد ديب، ومعهم الطاهر وطار ومولود فرعون وعبد الحميد بن هدوقة ومالك حداد، رحمهم الله، لم ينالوا حتى مجرّد الترشيح لجائزة نوبل، وهم يستحقونها، وبخاصة الثّلاثي العملاق جيّار ومعمري، بسبب كنايات هؤلاء، جميعاً، المتضمّنة التعبير عن معاناة الجزائريين إبّان الاستعمار الاستيطاني وإبراز الشخصية الجزائرية بكل أبعادها في أثناء «الليل الاستعماري» الذي حاول خضرا وداوود، ومعهما صنصال، التّنصل منه، بكلّ أسف، بحثاً عن الشّهرة والجوائز.

(أستاذ جامعي جزائري)

الأعزاء في «ذا تلغراف» و«العربية»...

ارنست خوري

عديدةٌ الأطراف المتحمّسة لاندلاع حرب شاملة بين حزب الله وإسرائيل، على الرغم مما يُشاع عن أكثرية غير راغبةٍ بخروج هذه الحرب عن إطارها الحالي. صحيحٌ أن واشنطن تخشى «الحرب الشاملة» كذلك العواصم الرئيسية في أوروبا، لأسباب سياسية انتخابية واقتصادية وعسكرية، وأخرى تتعلق بخشية من موجة لجوء جماعي، لكن ما تفضّله طهران أن تبقى حالة المواجهة على ما هي عليه منذ الثامن من أكتوبر/ تشرين الأول، محصورةً جغرافياً بالمنطقة الحدودية، قواعدُها مضبوطة المدى، لولا ذلك، لكانت إيران الرسمية أوعزت إلى حزب الله بإغلاق الجبهة ولكان أغلقها، من دون استثناء من يصدّق خرافة استقلالية قرار الحزب وبقية وكلاء إيران في المنطقة. ولأن حزب الله فصيلٌ في جيش الولي الفقيه، باعترافات حسن نصر الله، فإن النموذجي بالنسبة إليه أيضاً أن يُبقي الباب موارباً: نصفه مفتوح على حربٍ دمرت عشرات القرى اللبنانية وهجّرت عشرات الآلاف «إسناداً لغزّة»، ونصفه الآخر مُغلق يعفي طهران من تبرير عدم تدخّلها إلى جانب أحد أبنائها حين تتسع حلبة القتل. لكن المعجبين بعبقرية إدارة حزب الله الجبهة لا تُسعفهم قدراتهم على فهم ما الذي يريده بالفعل من نصف الحرب التي افتتحها ويرفض إخماد نيرانها. حتى ولو وافقت حركة حماس وإسرائيل على اتفاق ينهي حرب غزّة، وهو ما ليس مرجّحاً حصوله قريباً، فإن الإسرائيليين غير مستعدّين، وفق ما يبدو، لربط مصير الجبهتين، لا بل إن كثيرين من وزراء الائتلاف الحكومي في تل أبيب يريدون إنهاء إبادة غزّة فقط لافتتاح إبادة أخرى في لبنان. كيف لا وهم يدركون مدى صعوبة أن تدير إسرائيل مستقبلاً حكومة حربيةً كهذه التي يرأسها بنيامين نتنياهو، وكم هو مستبعدٌ أن تصل إلى السلطة يوماً إدارة أميركية متحازة إلى إسرائيل كالتي يدعمها عهد جو بايدن. أمام هذه الصورة السوداوية، يُظهر سلوك مؤسّسات إعلامية وكأنها لم تعد تطيق انتظار ساعة الصفر وانفلات الحرب من ضوابطها. فأن تعيد صحيفة ذا تلغراف البريطانية يوم الأحد الماضي تدوير ما هو منشور ومتداول مراراً ومنذ سنوات في وسائل إعلام، كفضائية «العربية» السعودية، عن تحويل حزب الله مطار بيروت إلى ما يشبه مخزناً لسلاحه الآتي من إيران، ثم أن تقصفنا مؤسّسات إعلامية كـ«العربية» نفسها وشقيقتها «الحدث» بـ14 خبراً عاجلاً متلاحقاً مقتبساً من التقرير البريطاني الذي لم يعد يحمل سبقاً صحافياً لكثرة ما كُتب وبُثّ عنه، ولا وقّعته «ذا تلغراف» باسم كاتب حتى، ويقال إنه وصل إلى إدارة التحرير مباشرة من مكتبهم في دبي، فإنما هذا ينمّ عن حماسةٍ استثنائيةٍ للحرب لا داعي لها حتى بالنسبة إلى العقل الإسرائيلي الحاكم، وذلك في عزّ أجواء رعب من حرب قد تندلع في أية لحظة، في بلد كلبنان تدرك الصحيفة البريطانية والمواقع والتلفزيونات التي روّجت التقرير، كم أنه لا يحتمل ضربة كفٍّ ليسقط في قاع القاع. الزملاء في «ذا تلغراف» وفي «العربية» و«الحدث» يعرف اللبنانيون والعالم أن حزب الله يتحكّم بلبنان، بكل ما فيه، ويحكمه، مثلما أنه يحتل مساحات شاسعة من سورية حيث عاث قتلاً وتدميراً. يعرفون أن سلاح الحزب أطاح مؤسّسات الدولة اللبنانية. يدركون أن للبنان مصائب كثيرة. ليس سلاح حزب الله المصيبة الوحيدة، ولكنه حتماً المصيبة الكبرى. يعرفون ذلك وأكثر، لا بل إنهم، وليس أنتم، ضحايا هذا كله. وإن كان اللبنانيون يعرفون هذا، فأغلب الظن أن إسرائيل على علم بما لا تعلمون عن مواقع حزب الله ومخابئه وقدراته. لا تنتظر إسرائيل منكم خدماتٍ إعلامية ولا أفكاراً لبنك أهداف تقصفه غداً، ذلك أن كنز بنكها لا ينضب. أما بالنسبة إلى تكرار نشر وبثّ تقارير على طريقة إعادة تدوير ذلك الذي يفضح «أسرار» مطار بيروت، فإنها لن تضرّ حزب الله الذي يعيش تحت الأرض، بل ستستخدمها إسرائيل من ضمن أدوات تبرير جرائم كثيرة سترتكبها بحق كل من يقيم فوق أرض هذا البلد العالق بين إسرائيل وحزب الله وإيرانه.

عن احتمالات الحرب في لبنان... مرّة أخرى

مروان قبلان

تزايدت في الأسابيع القليلة الماضية المؤشّرات عن احتمال اندلاع حرب شاملة بين إسرائيل وحزب الله، وتزايدت معها الجهود التي تبذلها جهاتٌ دولية متعدّدة لمنع الانزلاق بهذا الاتجاه، ما يدلّ على جدّية تلك الاحتمالات. وفي ضوء تسريبات عن إقرار إسرائيل خططاً عملياتية لتوغل وشيك في لبنان، يتعامل كثيرون مع الأمر وكأن الحرب واقعةٌ لا محالةَ هذا الصيف، حيث تسعى إسرائيل إلى إعادة سكان الشمال إ

حزب الله والكيان الصهيوني إلى المواجهة الشاملة

علي العبدالله

عكست المواجهات الميدانية بين حزب الله اللبناني وجيش الكيان الصهيوني اتّساع نطاق الضربات المتبادلة وتنوّعها، باستخدام الحزب أصنافاً جديدةً وقويةً من الذخائر والمسيّرات والصواريخ لضرب أهداف عسكرية ومراكز تقنية عسكرية صهيونية ردّاً على اغتيال كوادره الميدانيين بالمسيّرات الصهيونية. وقد عكس استهداف جيش الكيان قرى الجنوب والبقاع اللبنانيين وبلداتهما بالقنابل الحارقة والفوسفور الأبيض المحرّم دولياً ميلاً إلى تصعيدٍ ينطوي على خطر تحوّل المواجهات إلى حربٍ شاملة. لم يتوقّف التصعيد على الضَّربات المتبادلة بين الطرفين فحسب، بل امتدّ ليشمل توجيه تهديداتٍ وإنذاراتٍ بمواجهات قاسية، والكشف عن استعدادات عسكرية وخطط عملياتيّة لحسم الموقف، فقد سرّبت قيادة جيش الكيان الصهيوني إلى الإعلام أنها صادقت وأقرّت خططاً عملياتية لهجوم في لبنان لإنهاء خطر حزب الله. وأرسلت مع المبعوث الأميركي عاموس هوكشتاين تحذيراً صارماً لحزب الله لوقف هجماته أو انتظار حربٍ مدمّرةٍ للحزب وللبنان. وصرّح قادة في هذا الجيش بأنه لم يُظهر حتى الآن سوى 15% من «قدراته التدميرية». ولذلك «سيجلب حزب الله على لبنان دماراً غير مسبوق. وهذا كله بسبب الإيرانيين الذين يواصلون تحريض لبنان على محاربة إسرائيل»، وفق الجنرال موشية إلعاد. ولزيادة الضغط على الحزب، أعلنت قيادة جيش الكيان أنها أبلغت الإدارة الأميركية أنها ستستخدم في هجومها على الحزب أسلحةً لم يسبق لها استخدامها. ورفع حزب الله السقف بتهديد أمينه العام حسن نصرالله الكيان الصهيوني بقوله «إذا هاجمتنا إسرائيل فلتنتظرْنا بحراً وجواً وبرّاً، وإذا فرضت الحرب فسنقاتل بلا ضوابط وقواعد وأسقف». وهدد باستهداف قبرص إذا فتحت قواعدها العسكرية لجيش الكيان لمهاجمة الحزب منها، كما نشر فيديوهات لمواقع عسكرية ومدنية داخل الكيان، فيديو الهدهد يصوّر مواقع في حيفا وجوارها؛ وفيديو «إلى من يهمّه الأمر» يحدّد مواقع عدّة في الكيان الصهيوني وإحداثياتها من دون تسميتها، قال إنها جزءٌ بسيطٌ مما لديه من صور تحدّد مواقع سيستهدفها في حال نشوب حربٍ شاملة.

وقد زاد التصعيد حدّة بانخراط حركة أنصار الله (الحوثيين) وأطراف من الحشد الشعبي العراقي في المواجهة بقصف مواقع إسرائيلية في البرّ والبحر من ضمن عمل عسكري منسّق مؤازرة للحزب، وتحذيرا للكيان الصهيوني من مغبّة التهوّر ومهاجمة الحزب. كما أعلنت مليشيات موالية لإيران من الحشد الشعبي العراقي و«زينبيون» الباكستانية، و«فاطميون» الأفغانية عن استعدادها للمشاركة في القتال في لبنان، في حال هاجم جيش الكيان الصهيوني الحزب ودخل الأرض اللبنانية. وقد نقلت وسائل إعلام أنباء عن تسلل مقاتلين من هذه المليشيات من سورية إلى لبنان. وكانت لافتةً مهاجمة طائرات مسيّرة مجهولة الهوية، رجّحت التقديرات قدومها من العراق، قاعدة التنف التابعة للتحالف الدولي بعد أقل من 24 ساعة على مهاجمة طائرات مسيّرة، أميركية أو إسرائيلية، شاحناتٍ تحمل أسلحة للمليشيات الإيرانية في قرية السكرية في منطقة البوكمال شرقي محافظة دير الزور، حيث سقط قتلى عراقيون ودمّرت شحنة الأسلحة، واعتبر المعلقون الهجوم على قاعدة التنف ردّاً على مهاجمة الشاحنات، وامتدادا للتصعيد الحاصل بين محور المقاومة والكيان الصهيوني المدعوم أميركياً. أشارت تقارير إعلامية وتقديرات محلّلين سياسيين إلى خطورة الموقف في ضوء امتلاك الطرفين قدراتٍ تسليحيةً وخبرات قتالية، بالإضافة إلى احتمال امتداد القتال أبعد، وانخراط إيران ومحور المقاومة والولايات المتحدة فيه، ما يعني دماراً كبيراً وواسعاً من جهة، وضربة أخرى لحركة النقل والتجارة من جهة أخرى، في حال امتداد القتال إلى شرق المتوسط واستهداف السفن التجارية والعسكرية، فحزب الله يملك قدرات عسكرية، صواريخ أرض- أرض عالية الدقة، معظمُها من صنف صواريخ «فاتح» المصنوعة في إيران، يتراوح مداها بين 250 وألف كيلومتر، وتحمل رأساً حربياً شديد الانفجار وزنه 450 كيلوغراماً، وصواريخ باليستية وصواريخ كروز مضادّة للسفن، بما فيها صاروخ «ياخونت» الروسي المتقدّم جدّاً، وهو صاروخ أسرع من الصوت يصل مداه إلى 300 كيلومتر، لشلّ حركة الملاحة شرقي المتوسط، كما فعلت حركة أنصار الله في البحر الأحمر وخليج عدن وبحر العرب والمحيط الهندي، وبإمكانه هو ومليشيات محور المقاومة شلّ القبة الحديدية بزخّات صواريخ كثيفة. يملك الكيان الصهيوني ترسانة أسلحة ضخمة من دبابات ومدّرعات وطائرات متطوّرة من طرازات عديدة، إف 16 وإف 35. وتستطيع الأخيرة القصف من بعد 400 كيلومتر، وقنابل ذكية زنة ألفي رطل. وهذا بالإضافة إلى رصيد استراتيجي وازن من الولايات المتحدة التي صرّح مسؤول فيها بأنه «إذا اندلعت حرب شاملة بين إسرائيل وحزب الله، فإنها ستقدّم للكيان المساعدة الأمنية التي يحتاجها من دون أن تنزل جنودا على الأرض»، وفق تقرير لقناة «سي أن أن».

لكلٍّ من طرفي المجابهة دوافعه ومبرّراته للتصعيد وما ينطوي عليه من خطر الذهاب نحو حرب شاملة، فحزب الله انطلق في تصعيده من ضرورة ردع الكيان للكفّ عن اغتيال قادته الميدانيين؛ ومحور المقاومة من تقديره ضرورة تعزيز موقف الحزب وردع الكيان عن مهاجمة الأرض اللبنانية، واعتبار عملهما العسكري نصرة لحركة حماس، لما لهزيمتها من انعكاس سلبي على المحور ومركزه إيران، وعلى قوة ردعه، ما يستدعي استمرار التحرّك العسكري لدعمها وتمكينها من الصمود وتحقيق مطلبها الرئيس: إنهاء الحرب وانسحاب جيش الكيان من قطاع غزّة. ربطت تقديرات بين تصعيد محور المقاومة وما كشفته عملية طوفان الأقصى من ضعف جيش الكيان وفشله في تحقيق أيٍّ من أهدافه المعلنة للحرب، والتدهور الشامل لمكانة الكيان الاستراتيجية. وهذا سيعزّز الموقف الإيراني في التفاوض مع الإدارة الأميركية بشأن الملفات العالقة بينهما، الملف النووي ودور إيران الإقليمي. ذهبت تحليلات عربية كثيرة إلى تسخيف تحرّك محور المقاومة والحديث عن تخادم إيراني إسرائيلي، وتحميل الموقف الإيراني مسؤولية الدمار الذي حصل في غزّة. وهذا سوء تقدير، إذا خلصت النيّة، وجنونٌ وعدائية إذا ساءت النية، لأن إيران ومحورها، وبغضّ النظر عما فعلته في عدة دول عربية، وهو مرفوض ومدان، تتابع تنفيذ تصوّر استراتيجي لحماية نظامها. وضمانة ذلك إعلان أميركي الاعتراف بالنظام وعدم السعي إلى تغييره، وأخذ مصالح إيران بالاعتبار في صياغة النظام الإقليمي، ما يعني حصّة وازنة تكرس دورها وتحفظ استقرار نظامها. وتنطلق دوافع الكيان الصهيوني للتصعيد من ضرورة إنهاء خطر حزب الله الذي بات، بتقدير محلّلين صهاينة، خطراً وجودياً على الكيان يجب القضاء عليه الآن، حيث الفرصة سانحة، أفضل من مواجهته بعد أعوام، وقد عزّز قدراته أكثر. وهذا يجعل احتمال الذهاب إلى حرب شاملة راجحاً، خصوصاً إذا ربطنا الوضع الميداني بما كان أعلنه رئيس وزراء الكيان بنيامين نتنياهو، إبّان بدء العدوان على قطاع غزّة، عن هدفه من الحرب: إحداث تغيير استراتيجي في الإقليم يوفّر للكيان الأمن فترة طويلة. ربط بعض المحلّلين بين تمسّك نتنياهو بمواصلة الحرب ومستقبله السياسي. هذا ما يقوله خصومه في المعارضة الصهيونية. الصحيح أن الأخير يريد تحقيق رؤية استراتيجية للصهيونية الدينية تُنهي احتمال قيام دولة فلسطينية، لذا يسعى إلى خوض حرب شاملة مستغلّاً تأييد قادة جيش الكيان هدفَ القضاء على تهديد حزب الله وإيران. من هنا يأتي رفضه وقف الحرب في قطاع غزّة كي يبقي احتمال شن هجوم على لبنان قائماً، ويفشل خطّة بايدن التي تنتهي بحلّ الدولتين، وانتظار الانتخابات الأميركية، حيث ترجّح التوقعات فوز ترامب فيها، كي يضمن الحصول على ضوء أخضر أميركي للهجوم على حزب الله، وتأمين دعم سياسي لأهدافه الاستراتيجية في رفض قيام دولة فلسطينية. وهذا جعل محاولات الإدارة الأميركية وقف الحرب بين حزب الله والكيان عبثاً، حيث لا يمكن وقف الحرب في لبنان من دون وقفها في فلسطين، فالترابط قائم في ضوء ربط حزب الله ومحور المقاومة، الذي يعمل على إنقاذ حركة حماس ومنع هزيمتها، وقف الحرب هنا بوقفها في قطاع غزّة. باتت حربٌ شاملةٌ محتملةً جدا في ضوء حاجة أطراف الصراع لها، رغم ما تنطوي عليه من أخطار وخسائر بشرية ومادية، فالكيان الصهيوني يتحدّث عن حاجته لنصر استراتيجي، وإيران ومحور المقاومة يعملان على منع حصول ذلك، والولايات المتحدة تسعى إلى منع حصول حرب شاملة، لكنها لا تستطيع البقاء خارجها إذا وقعت.

> باتت حربٌ شاملةٌ بين حزب الله والكيان الصهيوني محتملةً جداً في ضوء حاجة أطراف الصراع لها، رغم ما تنطوي عليه من أخطار وخسائر

> الترابط قائم في ضوء ربط حزب الله ومحور المقاومة الذي يعمل على إنقاذ حركة حماس ومنع هزيمتها

(كاتب سوري)

عواصف اليمين الأوروبية تهدّد مراكب الهجرة

آلاء عوض

حقّقتْ الأحزاب اليمينية المتطرّفة أحدث انتصاراتها في انتخابات البرلمان الأوروبي، وتلقّى الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، والمستشار الألماني، أولاف شولتز، أكبر ضربة لهما، بينما عزّزت رئيسة الوزراء الإيطالية اليمينية، جورجيا ميلوني، مكانتها بفوز حزبها «إخوة إيطاليا» بأغلب الأصوات في بلادها. وسيكون حزب الشعب الأوروبي أكبر تجمّع سياسي في البرلمان الجديد، ما يدعم أورسولا فون ديرلاين لولاية ثانية في رئاسة المفوضية الأوروبية، لكنها ستحتاج دعم اليمين لإكمال مسيرتها.

وفي ظلّ هذه النتائج، تُواجه دول الاتحاد الأوروبي خلافاتٍ بارزة تشمل عدّة جوانب أساسية. في السياسة الاقتصادية والمالية، تختلف الدول حول كيفية توزيع موازنة الاتحاد، حيث تدعو دولٌ، مثل فرنسا، إلى زيادةِ الإنفاق على التحوّل الأخضر والدفاع، بينما تفضّل دول، مثل ألمانيا وهولندا، التحفّظ المالي. في السياسة الخارجية، تتباين المواقف تجاه روسيا والصين، حيث تتبنّى دول شرق أوروبا موقفاً صارماً تجاه روسيا، بينما تبقى دول أخرى في حالةِ تذبذب. كما تتباين الرؤى البيئية بين الدول، في ما يتعلّق بأهدافِ خفض الكربون وأزمة الطاقة، حيث تسعى بعض الدول إلى تحقيق طموحاتٍ بيئيةٍ عالية، بينما تعتمد أخرى بشكلٍ كبير على الوقودِ الأحفوري. تشمل الخلافات أيضاً قضايا التوسعة وانضمام دول جديدة، وسيادة القانون والديمقراطية، حيث يتصادم الاتحاد مع بولندا والمجر بشأن احترام القيم الديمقراطية. وفي السياسة الصناعية والتجارية، تختلف الدول بين داعمي التجارة الحرّة والمحافظين.

أهمّ الخلافات البارزة، والتي يُمكن اعتبارها أحد أسباب صعودِ اليمين المتطرّف بشكلٍ مخيفٍ في أوروبا، هي مسألة اللجوء والهجرة، التي اشتدّت مع أزمةِ اللجوء الناتجة عن النزوح السوري عام 2015 إثر تدخّل روسيا إلى جانب النظام السوري وتهجير ملايين السوريين باتجاه الشمال، بسبب القصف والعمليات العسكرية. وصل حينها إلى أراضي دول الاتحاد نحو 1,3 مليون مهاجر ولاجئ. كانت هذه أكبر موجة هجرة في القرن الحادي والعشرين، بعد هجراتٍ سابقةٍ شهدتها أوروبا، مثل هجرة نحو مليون جزائري إلى فرنسا خلال حرب الاستقلال وبعدها. في التسعينيات، تسبّبت حروب البلقان في نزوح نحو 3,2 ملايين شخص من يوغوسلافيا السابقة. استقبلت ألمانيا مئات آلاف العمّال الأتراك في الستينيات والسبعينيات بموجب اتفاقيات العمالة المهاجرة، وأصبحوا جالية تُقدّر بثلاثة ملايين. كما شهدت فرنسا وإسبانيا وهولندا هجرة حوالي 2,1 مليون شخص من المغرب بحثاً عن فرص اقتصاديةٍ أفضل.

أدّت الهجرات إلى أوروبا في القرن العشرين إلى تأثيراتٍ سياسيةٍ كبيرة. دفعت تدفقات المهاجرين الحكومات إلى صياغةِ سياساتٍ هجرةٍ ولجوءٍ جديدة وتطوير برامج إعادة التوطين. زادت موجات الهجرة دعم الأحزاب اليمينية المتطرّفة في دولٍ أوروبية استغلّت مخاوف السكان من الهجرة للضغط من أجل سياسات أكثر تقييداً، ما أدّى إلى توتراتٍ اجتماعيةٍ وسياسية. في فرنسا، وقعت مجزرة أكتوبر (1961) في باريس بحقّ الجزائريين. في المملكة المتحدة، عانى مهاجرو الكومنويلث من العنف العرقي مثل شغب نوتينغ هيل عام 1958. شهدت ألمانيا هجمات دامية عديدة ضدّ الأتراك والمهاجرين من أصولٍ تركية، أبرزها حريق زولينغن في 1993 الذي أسفر عن مقتل خمسة أفراد من عائلةٍ تركية، وحريق مولن في 1992 الذي أدّى إلى مقتل ثلاثةِ أتراك، وسلسلة هجمات نفّذتها مجموعة النازيين الجدد (NSU) بين عامي 2000 و2007، والتي أسفرت عن مقتل عشرة أشخاص معظمهم من الأتراك. ولم تحصل موجات عنف بعد موجةِ الهجرة في 2015 بالمستوى نفسه، لكنها أسهمت في زيادةِ التوترات الاجتماعية والسياسية في أوروبا. على سبيل المثال في هاناو بألمانيا، قُتل تسعة أشخاص في هجوم على مقاهي الشيشة عام 2020. في السويد، أسفر هجوم مدرسة كروندا عام 2015 عن مقتل ثلاثة أشخاص، معظمهم من الطلاب المهاجرين. ويمكن أن نضيف هجوم نيوزيلندا، هجوم كرايست تشيرش على مسجدين عام 2019 الذي أسفر عن مقتل 51 شخصاً، ارتكبه متطرّف يميني متأثّر بخطاب مُعادٍ للهجرة. على الصعيدِ السياسي، كانت الهجرة أحد الأسباب الرئيسية لانفصالِ بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي، حيث رُفعت شعارات تُثير خوف البريطانيين من وصولِ المهاجرين إليهم. في دول الاتحاد، كان صعود اليمين المتطرّف، واليمين بشكلٍ عام، الثمرة الأبرز، وتوجّهت الدول إلى تشديدِ سياسة اللجوء لديها إلى أن كان نتيجة ذلك تحديث ميثاق الهجرة في ربيع العام الجاري، الذي سيُنهي بتطبيقه عصر اللجوء إلى القارّة العجوز ويُعزّز «قلعة أوروبا». وقالت منظمّات أوروبية إنّ الميثاق الجديد سيكون له تداعيات مدمّرة على الحقّ في الحماية الدولية داخل الاتحاد الأوروبي، ويعطي الضوء الأخضر للانتهاكات في جميع أنحاء أوروبا، بما في ذلك التنميط العرقي والاحتجاز الفعلي والدفع العكسي (pushbacks). ستتحوّل حدود الاتحاد الأوروبي الخارجية إلى معسكرات احتجاز كما يحصل حالياً في جزر بحر إيجة اليونانية، ولن يتم اعتبار طالبي اللجوء على أراضي الاتحاد الأوروبي بموجب «الافتراض القانوني لعدم الدخول»، ما يحرم المهاجرين من الحماية القانونية. حتى الأطفال غير المصحوبين يمكن إخضاعهم لإجراءات الحدود واحتجازهم فعليّاً عندما تعتبر السلطات أنّهم يشكلون «خطراً على الأمن القومي أو النظام العام». ومن خلال توسيع مبدأ «الدولة الثالثة الآمنة»، ستتم زيادة عمليات الترحيل إلى دول خارج الاتحاد الأوروبي على أساس اتفاقيات مع تلك الدول. كما يتضمّن الميثاق زيادة استخدام تقنيات المراقبة في جميع مراحل إجراءات الهجرة واللجوء، ما يمثّل خطوة أبعد في المراقبة الجماعية للمهاجرين والأشخاص الملوّنين. سيجري نشر تكنولوجيا أكثر تدخّلاً عند الحدود وفي مراكز الاحتجاز، وسيتم جمع البيانات الشخصية للأفراد بكمياتٍ كبيرةٍ وتبادلها بين قواتِ الشرطة عبر الاتحاد الأوروبي، أو استخدام أنظمة التعريف البيومتري لتتبّع تحرّكات الأشخاص وزيادةِ الرقابة على المهاجرين غير الموثّقين. يُسمح أيضاً بملاحقةِ مواطنين أوروبيين ومنظمّات أوروبية غير حكومية في حال تقديم مساعدة إلى المهاجرين طالبي اللجوء. رغم التشديد غير المسبوق في اللوائح الجديدة، لم تُعوّل دول أوروبية تسلّم فيها اليمين واليمين المتطرّف دفّة الحكم عليه، وراحت تشقّ طريقها في تشكيلِ تحالفاتٍ داخل الاتحاد يجمعها العداء للمهاجرين. في مايو/ أيار الماضي، عقد وزراء خارجية كلّ من التشيك، قبرص، الدنمارك، اليونان، إيطاليا، مالطا، وبولندا اجتماعاً في نيقوسيا، عبّروا فيه عن التزامهم بإعادةِ تقييم أساليب التعامل مع اللاجئين السوريين وناقشوا خططاً تركّز على إعلانِ مناطق آمنة في سورية لعودةِ المهاجرين. تطوّرت خطوات ما يُمكن تسميتها «محور قبرص» إلى فتحِ قنواتِ تواصلٍ مع النظام السوري خارج مظلّةِ الاتحاد الأوروبي. تحدّثت تقارير إعلامية عن زيارة رؤساء أجهزة المخابرات الإيطالية والرومانية، وحتى القبرصية، دمشق لبحث إعادة اللاجئين مقابل وعود بتخفيفِ العقوبات. على المستوى الوطني، تضمّن إعلان اتفاق الأحزاب اليمينية الهولندية مع المتطرّف خيرت فيلدرز على تشكيل حكومة، تقديم طلب للاتحاد الأوروبي، بغية الانسحاب من اتفاقيات الهجرة وقوانينها، بالإضافة إلى زيادة مدّة الانتظار للحصول على الجنسية الهولندية إلى عشر سنوات مع اشتراط التخلّي عن أيّة جنسية أخرى. وسيُطلب من المهاجرين معرفة محرقة اليهود كجزءٍ من عملية الاندماج. وإعلان قانون «أزمة اللجوء»، ويعني ذلك إيقاف دراسة الطلبات عامين. سبق ذلك إقرار البرلمان الفرنسي قانون الهجرة بشروطه المثيرة للجدل، وقبول ألمانيا ترحيل لاجئين إلى سورية وأفغانستان، إذا ارتكبوا الجرائم. وثمّة خطوات أخرى قد تتخذها البلاد بعد انتخاباتِ العام المقبل التي يُتوقّع فيها صعود اليمين إلى سدّةِ الحكم.

استطاعَ اليمين المتطرّف إجبارَ القوى السياسية الأوروبية على الاستسلام لشروطه وتقديم تنازلاتٍ ظنّاً منها أنّ ذلك يحرمه جزءاً من قاعدته الشعبية، لكن الحقيقة أنّ هذه التنازلات لم تؤدِّ إلا إلى تعزيزِ نفوذ اليمين المتطرّف وإضفاء شرعية على أفكاره ومواقفه المتشدّدة. وبدلاً من احتواءِ تأثيره، جرى تمكينه من الاستمرار في نشرِ خطاب الكراهية وكسب مزيد من المؤيّدين في غياب خلفاء لوينستون تشرشل، تشارلز ديغول ومارغريت تاتشر، فرانسوا ميتران، وحتى أنجيلا ميركل.

> استطاعَ اليمين المتطرّف إجبارَ القوى السياسية الأوروبية على الاستسلام لشروطه وتقديم تنازلات ظنّاً منها أنّ ذلك يحرمه جزءاً من قاعدته الشعبية

> كانت الهجرة أحد الأسباب الرئيسية لانفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي، حيث رُفعت شعارات تُثير خوف البريطانيين من وصول المهاجرين إليهم

(كاتبة سورية)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير معن البياري ■ مدير التحرير ارنست خوري ■ المدير الفني إميل منعم ■ السياسة جمانة فرحات ■ الاقتصاد مصطفى عبد السلام ■ الثقافة نجوان درويش ■ منوعات ليال حداد ■ المجتمع يوسف حاج علي ■ الرياضة نبيل التليلي ■ تحقيقات محمد عزام ■ مراسلون نزار قنديل

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، لندن
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب الدوحة
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب بيروت
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads